

21722 - تفسير البسمة ، وحكم افتتاح القراءة بها

السؤال

ما معنى البسمة ؟
وهل تقرأ البسمة من منتصف السورة ؟ ولماذا ؟
وما معنى اقرأ بسم ربك ؟.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

قول القائل : " بسم الله " قبل الشروع في العمل معناه :

أبتدأ هذا الفعل مصاحباً أو مستعيناً بـ (اسم الله) ملتصقاً بالبركة منه ، والله هو المألوه المحبوب المعبود الذي تتوجه إليه القلوب بالمحبة والتعظيم والطاعة (العبادة) وهو (الرحمن) المتصف بالرحمة الواسعة ، (الرحيم) الذي يوصل رحمته إلى خلقه .

وقيل المعنى : أبدأ هذا الفعل بتسمية الله وذكره . قال الإمام ابن جرير رحمه الله : " إن الله تعالى ذكره وتقدسست أسماؤه, أدب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنی أمام جميع أفعاله, وأمره أن يصفه بها قبل جميع مهماته, وجعل ما أدبه به من ذلك وعلمه إياه منه لجميع خلقه سنة يستنون بها, وسببلا يتبعونه عليها, في افتتاح أوائل منطقتهم وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم; حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل بسم الله على ما بطن من مراده الذي هو محذوف إ.هـ. بتصرف يسير .

ويوجد محذوف في عبارة باسم الله قبل البدء بالعمل ، وهذا المحذوف تقديره : أبتدئ عملي باسم الله ، مثل باسم الله أقرأ ، باسم الله أكتب ، باسم الله أركب ، ونحو ذلك . أو ابتدائي باسم الله ، ركوبي باسم الله ، قراءتي باسم الله وهكذا ، ويمكن أن يكون التقدير أيضا : باسم الله أكتب ، باسم الله أقرأ ، فيقدر الفعل مؤخرا ، وهذا حسن ليحصل التبرك بتقديم اسم الله ، وليفقد الحصر أي أبدأ باسم الله لا باسم غيره .

ولفظ الجلالة (الله) : هو الاسم الأعظم وهو أعرف المعارف الغني عن التعريف ، وهو علم على البارئ جل جلاله مختص به

دون سواه والصحيح أنه مشتق من أله يأله ، ألوهة وإلهة

فهو إله بمعنى مألوه أي معبود فهو : ذو الألوهية .

(الرحمن) : اسم من أسماء الله الخاصة به ، ومعناه ذو الرحمة الواسعة لأن وزن فعلان : يدل على الامتلاء والكثرة وهو أخص أسماء الله بعد لفظ الجلالة ، كما أن صفة الرحمة هي أخص صفاته ولذا غالبا يأتي ترتيبها بعد لفظ الجلالة كما في قوله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن .. الآية)

(الرحيم) : اسم من أسماء الله : معناه الموصل رحمته إلى من يشاء من عباده .

قال ابن القيم رحمه الله : "الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه ، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم ، فكان الأول للوصف والثاني للفعل فالأول دال على أن الرحمة صفة ، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته ، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله "وكان بالمؤمنين رحيما" وقوله "إنه بهم رءوف رحيم" ولم يجئ قط (رحمن بهم) فعلم أن رحمن هو الموصوف بالرحمة ، ورحيم هو الراحم برحمته "إله بدائع الفوائد (24 / 1) .

ثانياً :

وأما عن حكم قراءة البسملة قبل قراءة القرآن فلها أربعة أحوال :

الحالة الأولى : أن تكون في أول السورة - غير سورة براءة - فقد نص أكثر الأئمة على أنه : "تُسْتَحَبُّ قِرَاءَةُ الْبِسْمَلَةِ فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا وَيَنْبَغِي أَنْ يَحَافِظَ عَلَيْهَا حَتَّى أَنْ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ اعْتَبَرُوا خَتَمَةَ الْقُرْآنِ نَاقِصَةً إِذَا لَمْ يَأْتِ بِالْبِسْمَلَةِ فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ غَيْرِ بَرَاءةٍ " ولما سئل الإمام أحمد رحمه الله عن قراءتها في أول كل سورة قال : " لا يدعها " .

الحالة الثانية : أن تكون في أثناء السورة - وهو محل السؤال - فالجمهور من العلماء والقراء على أنه لا مانع من الابتداء بها ، قيل للإمام أحمد في البسملة - بعد قوله : لا يدعها في أول السورة - : "فَإِنْ قَرَأَ مِنْ بَعْضِ سُورَةٍ يَفْرُوقُهَا ؟ قَالَ : " لَا بَأْسَ " ، ونقل العبادي عن الشافعي رحمه الله استحبابها في أثناء السورة.

قَالَ الْقُرَّاءُ : وَيَتَأَكَّدُ الْإِبْتِدَاءَ بِالْبِسْمَلَةِ إِذَا كَانَ فِي الْآيَةِ الَّتِي سَيَقْرَأُهَا بَعْدَ الْبِسْمَلَةِ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ نَحْوُ قَوْلِهِ : **إِلَيْهِ يُرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ، وقوله : **وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ لِمَا فِي زَكْرٍ هَذِهِ الْآيَاتِ بَعْدَ الْإِسْتِعَاذَةِ مِنَ الْبَشَاعَةِ وَإِيهَامِ رُجُوعِ الضَّمِيرِ إِلَى الشَّيْطَانِ** .

الحال الثالثة : قراءتها في ابتداء سورة براءة ، فلا يكاد يختلف العلماء والقراء في كراهة ذلك .

قَالَ صَالِحٌ فِي مَسَائِلِهِ عَنْ أَبِيهِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَسَأَلْتُهُ عَنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ وَسُورَةِ التَّوْبَةِ هَلْ يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَفْصِلَ بَيْنَهُمَا بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ أَبِي : يَنْتَهِي فِي الْقُرْآنِ إِلَى مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُزَادُ فِيهِ وَلَا يَنْقُصُ .

الحال الرابعة : قراءتها في أثناء سورة براءة : فقد اختلف القراء في ذلك كما نقل ذلك ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الفقهية (1 / 52) فقال : " قال السَّخَاوِيُّ مِنْ أئِمَّةِ الْفِرَاءَةِ : لَا خِلَافَ فِي أَنَّهُ يُسَنُّ الْبِدَاءَةَ أَتْنَاءَهَا بِالتَّسْمِيَةِ وَفَرَّقَ بَيْنَ أَتْنَائِهَا وَأَوْلَاهَا لَكِنْ بِمَا لَا يُجْدِي وَرَدَّ عَلَيْهِ الْجَعْبَرِيُّ مِنْهُمْ (أَي مِنْ الْقِرَاءِ) وَهُوَ الْأَوْجَهُ (أَي أَنْ الْقَوْلَ بِالْكَرَاهَةِ هُوَ الْأَقْرَبُ لِلصَّوَابِ) إِذْ الْمَعْنَى الْمُقْتَضِي لِتَرْكِ الْبِسْمَلَةِ أَوْلَاهَا ، مِنْ كَوْنِهَا نَزَلَتْ بِالسَّيْفِ ، وَفِيهَا مِنَ التَّسْجِيلِ عَلَى الْمُتَأَمِّقِينَ بِفَضَائِحِهِمْ الْقَبِيحَةِ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهَا مَوْجُودٌ فِي أَتْنَائِهَا ، فَمِنْ ثَمَّ لَمْ تُشْرَعْ التَّسْمِيَةُ فِي أَتْنَائِهَا كَمَا فِي أَوْلَاهَا لِمَا تَقَرَّرَ . "

انظر (الآداب الشرعية لابن مفلح 2 / 325) و (الموسوعة الفقهية 13 / 253) و (الفتاوى الفقهية الكبرى 1 / 52) .

ثالثاً :

وأما معنى قوله تعالى : (اقرأ باسم ربك)

فقد قال الإمام ابن جرير رحمه الله : " القول في تأويل قوله تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق)

يعني جل ثناؤه بقوله: اقرأ باسم ربك محمدا صلى الله عليه وسلم يقول: اقرأ يا محمد بذكر ربك الذي خلق " . والله أعلم .